بأن وضعوا حربًا لمصعب وإن أبوا * فشبّ وقود النار بالحطب الجزل

وإن رفعوا الحرب العوان التي ترى * بمعرضة نار الحرب مثلًا أو مثلي

فقال الحجاج وأبيك إنها الفيء والبكي، هو موسى بن جابر الحنفي، وقوله شجا: الشجي الذي لا يزول يشتبه به الكبار أن الناس والعرب أن السادة، وأجرها غراء من بعض العين، وقوله شئز معناه ما نزل، وقوله إن ابن الأشعث سفح من السطح بسيقة النوم وانه لم يرد نفسه، ويقال إن يزيد بن المهلب قال في اليوم الذي قتل فيه قاتل الله ابن الأشعث ما كان عليه لو غمّض عينيه ساعة للموت ولم يكن قتل نفسه. قلت قول الناظم وهل بالورد يسلى ما أكون سالبًا البيت فيه تورية عجيبة من ذكر الورد، وأوهم أنه يريد ورد الخمار وإنما يريد موضع الوقيعة، وذكر الكؤوس وأوهم أنه يريد أكؤس الشراب وإنما يريد أكؤس المنايا على جهة الاستعارة، وذكر الأباريق وأوهم أنه يريد أباريق الشراب وهو يريد السيوف، لذا التورية بأبدع كل إبداع وإنما نبهه عليه مثبار الرجل وقد أنشدناه قبل

ومن بيض ... عيناه وراء الأباريق وحظه والمدام

أوهم أنه أراد بالأباريق أباريق الخمر ومراده السيف، ومكّن ذلك بذكر المدام بعد، على أن بيت الناظم هذا أبدع في كمال التوجيه وحسن التورية

وقام زيد من هشام مغضبًا * من شدة الخوف به وقد زرى

جاب العلا من وجل مختفيًا * يشكو إلى ما نفعه المرو الوجا

يبلى عزّ في اعتزاز نفسه * يحشر ابتلاء رتبة ... البلا

شرده بدهره وزرا مضى به والتشهير بها أزرى، قال صاحب المحكم حكى اللحياني أزرى بعلمي وزرى ولم يفسره، قال وعندي أنه قصّر به، قال أبو عمرو الزاري على الإنسان الذي لا يعدّه شيئًا وينكر عليه فعله، ويقال الزري عليه إنما عابه وعنّفه وعاتبه وأزرى عليه تنبيله وجعل العلا مقطع العلا، والوجل الخوف، والمرو نوع من الحجارة، والوجا الحفا يقال وجي وجا ورجل واج ووجي، وكذلك الدابة، ويقال أنكر عزّ إذا ألجأه إليه بمقيله والابتلاء ... المحنة

ذكر زيد بن علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم

وزيد الذي ذكره هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين، كان زيد رضي الله تعالى عنه شجاعًا ناسكًا فصيحًا من أبلغ بني هاشم حتى إن ملوك بني أمية كانت تكتب إلى صاحب العراق أن امنعوا أهل الكوفة من حضور زيد بن علي فإن له لسانًا أقطع من ظبة السيف وأحدّ من شبا الأسنة وأبلغ من السحر والكهانة

١٨٥

ومن كل نفث في عقدة، وهو الذي قيل له الصمت خير أم الكلام فقال قبّح الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعي والحصر، والله للمماراة أسرع في هدم العي من النار في يبيس العرفج ومن السيل إلى الحدور. وذكر أنه كانت بين جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وبين زيد بن علي رضوان الله تعالى عنهم منازعة في وصية، فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما يسمعون محاورتهما، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد، فإذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه قال في موضع كذا كذا وكذا، وقال الآخر مثل ذلك فيكتبون ما قالا ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض والنادر من الشعر والسائر من المثل، وكانا أعجوبة دهرهما، وكان زيد كثيرًا ما ينشد

شرّده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرّ الجلاد

منخرق الخفين يشكو الوجا * تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ورويت لأخيه موسى، وقال بعض بني هاشم كنا عند محمد بن علي بن الحسين وأخوه زيد عنده، فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمد بن علي إنك لتروي طرائف من نوادر الشعر فكيف قال الأنصاري لأخيه، فأنشد

لعمرك ما إن أبو مالك * بواه ولا بضعيف قواه

ولا بألدّ له نازع * يعادي أخاه إذا ما نهاه

ولكنه غير مخلافة * كريم الطبائع حلو نثاه

إذا سدته سدت مطواعة * ومهما وكلت إليه كفاه

فوضع محمد يده على كتف زيد رحمهما الله وقال هذه صفة أخي وأعيذه بالله أن يكون قتيل أهل العراق. قلت محمد هذا هو محمد الباقر سمي بذلك لأنه بقر العلم، وكان زيد بن علي بن الحسين دخل على هشام بن عبد الملك بالرصافة وهو خليفة فلما مثل بين يديه لم ير موضعًا يجلس فيه، فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله، فقال له هشام اسكت لا أم لك أنت الذي تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة، فقال زيد يا أمير المؤمنين إن لك جوابًا فإن أحببت أجبتك وإن أحببت سكتّ عنك، فقال بلى أجب، قال إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، فقد كانت أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أمة وأم إسحاق صلى الله عليه وسلم ابنة حرة، فلم يمنع ذلك إسماعيل أن بعثه الله نبيًا وجعله للعرب أبًا، فأخرج من صلبه خير ولد آدم محمدًا صلى الله عليه وسلم، أفتقول لي هذا وأنا ابن علي وفاطمة رضي الله